سورة العلق

قراءة بلاغية

أ.م.د.أحمد فتحي رمضان *

تأريخ التقديم: ٢٠١٣/١/٢٠ تأريخ القبول: ٢٠١٣/٢/٢٠

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد واله وصحبه أجمعين: وبعد:

فيتناول البحث سورة قرآنية من سور القرآن المبارك، كما هو معلوم فان لكلِّ سورة خصوصية خاصة بها من حيث الموضوعات التي تعالجها أولا ومن حيث الأسلوب بلاغة ونظما وفصاحة على الرغم من أن القران هو من مشكاة واحدة ومتحقق بالإعجاز (بأربعين وجهاً)(*) ، وفي مقدمتها وأهمها الإعجاز بالبلاغة في نظمه وفصاحته نظما ومعنى(*)، والسورة التي بين أيدينا لها خصوصية أخرى من حيث النزول، فهي أول سورة نزلت في مقطعها الأول الذي يضم خمس آيات كما تواترت الروايات بذلك تحث على القراءة والعلم والتعلم، ويبين المقطع كرامة الإنسان على الله الخالق العظيم الذي منحه الوجود فأخرجه من ظلمة العدم إلى نور الوجود وهي النعمة الكبرى، ثم أمده بالنعم التي لا تعد ولا تحصى ثم كرمه على كثير ممَّن خلق وفضله تفضيلاً، وتبرز في السورة نعمة العلم والتعليم يظهرها السياق القرآني في السورة بوصفها نعمة من اجل النعم فهي مفتاح الرقي المعنوي للإنسان أولا والرقي المادي والحضاري في الأرض، ثم تتوالى المقاطع في السورة مبينة مفارقة عجيبة لحال الإنسان بعد الخلق والإيجاد والإمداد والتكريم مفارقة طغيان الإنسان وانفلاته عن نواميس الخلق والكون، واعتزازه وطغيانه بالقوة

---

* قسم اللغة العربية/ كلية الآداب/ جامعة الموصل .

(*) ينظر: المكتوبات، بديع الزمان، سعيد النورسي ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، دار سوزلر للنشر، ط٦، القاهرة، ٢٠١١م.: ١١٨، و٢٢٠و٢٢٢و٢٥٤.

(*) يذهب البحث إلى أن الفصاحة في المعنى كما قال بذلك الإمام عبد القاهر الجرجاني في نظريته للنظم.

التي وهبه الله (عز وجل) إياه فبدلا من الشكر يعلن الكفر والجحود والصد عن سبيل الله سبيل الخير والهدى، وهذه المقاطع التي عرضتها السورة تعرضها بأساليب بلاغية متنوعة فتصل المعاني بحيوية وقوة تأثير في المتلقي، فضلا عن أنها (الأساليب البلاغية) المتشكلة في السورة تفتح أبوابا كثيرة في الفهم والتلقي مما ينتج وفرة في الدلالة وتعدداً في المعنى، ولما كانت السورة من كلام الله المحيط علمه بكل شيء فتلك الدلالات والمعاني كلها مرادة ومقصودة، وأحياناً إن التشكيل البلاغي في المقطع يومي بأكثر من مستوى من المعاني كما في المقطع الثالث الذي تشكلت فيه الضمائر على نحو فيه إمكانية عودة الضمائر إلى أكثر من مخاطب ﴿ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ﴿٩﴾ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ﴾ مما ينتج ثراء في المعنى والدلالة، ومثل ذلك المقطع الرابع ﴿ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ﴾ بما فيهما من لغة مجازية تشير إلى اعجازات علمية تتناغم مع الإعجاز العلمي الذي استهلته السورة (خلق الإنسان من علق)، علما أنها أول سورة نزلت بالاتفاق، ممّا يؤكد أن القرآن كنزٌ عظيم لا ينفد على مرّ العصور والوقوف على الروابط المعنوية التي تضمّ هذه المقاطع ممّا يكشف بجلاء عن وحدة النص عضوياً وتماسكه دلالياً في العمق بين المعاني المتضادة فيه التي يعرضها للمتوسِّمين بين القراءة والعلم وحركة الحياة بهما في المقدّمات والنتائج والثمرات المتحققة سلوكياً، وبين الجهل والتعصب والمكابرة ومعطياتها المتصادمة مع حركة الحياة. ومن بدائع السورة أنها تعرض لتلك المتضادات شواهدها فعلى صعيد القراءة والعلم المتلقي الأول في السورة هو محمد (ﷺ) الهادي المتقي ﴿ أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ﴿١١﴾ أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ ﴾ الذي تحققت فيه العبودية لله بإكمال وجه وأتمه، وعلى صعيد الجهل في السورة هو (أبو جهل) الشارد المتعصب والمكابر، ومن المفارقات البلاغية أن تتطابق كنيته مع السياق في السورة. ومن المفارقات البلاغية الملحوظة أن تشير السورة إلى إعجازات علمية تعميقاً للعلم وحثاً على طلبه وأهمية وتعزيزاً لدوره في هذا الدين الذي هو مسك الختام للأديان كلها.

التعريف بالسورة :

سورة العلق من المفصل آياتها ١٩ وترتيبها بالمصحف السادسة والتسعون وهي أول ما نزل من القرآن الكريم ، وقد بدأت بفعل أمر " اقرأ "و السورة بها سجدة في الآية رقم ١٩.

محور موضوعات السورة :

يَدُورُ مِحْوَرُ السُّورَةِ حَوْلَ القَضَايَا الآتِـيَة :

أَوَّلاً : مَوْضُوع بَدْءِ نُزُولِ الوَحْيِ عَلَى خَاتَمِ الأَنْبِيَاءِ محَمَّدٍ(ﷺ) .

ثَانِيَاً : مَوْضُوعُ طُغْيَانِ الإِنْسَانِ بالمَالِ وَتَمَرُّدِه عَلَى أَوَامِرِ اللَّه .

ثَالِثَاً : قِصَّةُ الشَّقِيِّ (أَبِي جَهْلٍ) وَنَهْيُـهُ الرَّسُولَ (ﷺ)عَنِ الصَّلاَةِ.

رابعاً: إيماء إلى أن أمته ستصير إلى معرفة القران والكتابة والعلم، وتثبيت الرسول (ﷺ) على ما جاءه من الحق والصلاة والتقرب إلى الله[١]. ومن الأمور التي يمكن استفادتها من هذه السورة ما يأتي:

أولا: أول الطريق القراءة باسم ربنا، فبلا قراءة لا علم، وبغير اسم ربنا لا قدرة ولا انتفاع، وان الإصلاح يبدأ من الأفكار قبل الأعمال، ومن الباطن قبل الظاهر، ومن الأصل قبل الفرع، ومن الفرد قبل الجماعة، والتبرؤ من الحول والتوكل على الله الذي ليس إلا منه الحول والقوة.

ثانيا: أول العلم بربنا: خالقا ومعلما لنا ثم العلم بالإنسان (من حيث هو إنسان) مخلوقا ومَعلَّما من ربنا: وذلك مما يستلزم ، ذكر نعم الله تعالى طريقا للعلم به والخشية له وعلى رأس تلك النعم نعمتا الخلق والتعليم تركيز الاهتمام بالإنسان لتميزه موقعا وتكريما والتعليم أكبر مظهر للتكريم.

ثالثا: الطغيان أبرز أدواء الإنسان، وفي توهم الشعور بالاستغناء سر الداء، وفي الاستيقان بالرجوع إلى ربنا سر الدواء: وذلك مما يستلزم ملازمة الشعور بالافتقار إلى الله تعالى وملازمة ذكر الموت والآخرة والرجوع إلى الله تعالى، وملازمة الوقوف عند حدود الله تعالى وعدم التعدي.

رابعاً: الله تعالى يتولى الدفاع بنفسه عن عبده إذا استجمع ثلاثة شروط: إذا صلى، وكان على الهدى، وأمر بالتقوى. أي إذا كان موصولا به في قلبه، سائرا على هداه في حياته داعيا غيره إلى تقوى ربه[٢].

---

(١) ينظر: تفسير التحرير والتنوير، ابن عاشور، الدار التونسية للنشر، (د. ت): ٤٤٣/٣٠.

(٢) ينظر: نظرات في الهدى المنهاجي في القرآن الكريم من خلال السور حسب ترتيب النزول لفضيلة الأستاذ الدكتور الشاهد البو شيخي نشر بجريدة المحبة الصادرة بخامس ١١ صفر الخير ١٤٢٨هـ/٢مارس/٢٠٠٧م، العدد(٢٧٢). (الشبكة العالمية): ٤٤.

سورة العلق سورة مكية، قال عنها إنها وأمثالها من السور التي فيها العجائب، وذلك لما جاء فيها من التأسيس لافتتاحية تلك الرسالة العظيمة، ولا تستطيع إيفاءها حقها عجزاً وقصوراً(١).

إن أجل العلوم التي يدعو القرآن إلى اكتسابها علوم الدين، لأنها تهدي الإنسان إلى سبيل سعادته في الدارين إذا التزم بصدق وإخلاص، فكان أول الذي نزل قوله تعالى اقرأ ففي الصحيحين واللفظ للبخاري، عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّهَا قَالَتْ: ((أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ فِي النَّوْمِ، فَكَانَ لا يَرَى رُؤْيَا إِلا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ، ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْهِ الْخَلاءُ، وَكَانَ يَخْلُو بِغَارِ حِرَاءٍ فَيَتَحَنَّثُ فِيهِ ــ وَهُوَ التَّعَبُّدُ اللَّيَالِيَ ذَوَاتِ الْعَدَدِ ــ قَبْلَ أَنْ يَنْزِعَ إِلَى أَهْلِهِ وَيَتَزَوَّدُ لِذَلِكَ ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى خَدِيجَةَ فَيَتَزَوَّدُ لِمِثْلِهَا، حَتَّى جَاءَهُ الْحَقُّ وَهُوَ فِي غَارِ حِرَاءٍ، فَجَاءَهُ الْمَلَكُ فَقَالَ: اقْرَأْ، قَالَ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ، قَالَ: فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: اقْرَأْ قُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّانِيَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: اقْرَأْ فَقُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّالِثَةَ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ) فَرَجَعَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) يَرْجُفُ فُؤَادُهُ..))(٢).

فقوله تعالى (اقرأ) نبه به على أعلى أسباب القرب إليه سبحانه وهو العلم. و(اقرأ) بدء للنبوة وإشعار بالرسالة، لأنه يقرأ كلام غيره، وفيها إبراز للمعجزة أكثر، لأن الأمي بالأمس صار معلماً اليوم.

وإن مما يبين أهمية العلم وفضل والتعليم، نزول أول آيات من القرآن الكريم فيها حض على القراءة والأمر بها، بل وكرر الأمر فيها بالقراءة تنبيها على التزام أقوى أسباب السعادة(٣)، ولقد جاء في السورة تكرير الأمر بالقراءة للإشعار بحاجة الإنسان لمتابعة القراءة في حياته، ثم ذكر القلم إبرازا لمكانته وأهميته في حفظ العلم وتبليغه

(١) ينظر تفسير القران العظيم لابن كثير الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م: ٤/ ٤٣٤ و=: صفوة التفاسير محمد علي الصابوني، دار القرآن الكريم، ط٢، بيروت، ١٤٠١هـ-١٩٨١م: ٢٣٣/٣

(٢) صحيح البخاري، أبو عبد الله محمد إسماعيل البخاري، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٦ : ٦/١-٧.

(٣) ينظر: نظرات في الهدى المنهاجي في القرآن الكريم من خلال السور حسب ترتيب النزول: ٤٥.

وقال تعالى في السورة (الذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ)، قال الزجاج: "أي الذي علم الكتاب"[١].

فدل على كمال كرمه، بأنه علم عباده ما لم يعلموا. ونقلهم من ظلمة الجهل إلى نور العلم، ونبه على فضل علم الكتابة لما فيه من المنافع العظيمة التي لا يحيط بها إلا هو، وما دونت العلوم ولا قيدت الحكم ولا ضبطت أخبار الأولين ومقالاتهم ولا كتب الله المنزلة، إلا بالكتابة، ولولا هي لما استقامت أمور الدين والدنيا، ولو لم يكن على دقيق حكمة الله ولطيف تدبيره دليل إلا أمر القلم والخط لكفى به[٢].

وقد ذُكر في السُّنة أنواع متفاوتة، وكلها بالغة الأهمية في ذكر القلم:

منها: **أولها وأعلاها**: القلم الذي كتب ما كان وما سيكون إلى يوم القيامة، والوارد في الحديث:(من أول ماخلق الله خلق القلم فقال له: اكتب ، فقال: أي ربي ما اكتب ؟ قال اكتب القدر فجرى القلم في تلك الساعة بما كان وبما هو كائن الى يوم القيامة)[٣].

ثانيها: القلم الذي يكتب به الملك في الرحم ما يخص العبد من رزق وعمل واجل، والوارد في الحديث: **(إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَكَّلَ بِالرَّحِمِ مَلَكًا يَقُولُ: يَا رَبِّ نُطْفَةٌ، يَا رَبِّ عَلَقَةٌ، يَا رَبِّ مُضْغَةٌ، فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَقْضِيَ خَلْقَهُ قَالَ: أَذَكَرٌ أَمْ أُنْثَى؟، شَقِيٌّ أَمْ سَعِيدٌ؟، فَمَا الرِّزْقُ وَالأَجَلُ؟ فَيُكْتَبُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ)**[٤].

ثالثها: القلم الذي بأيدي الكرام الكاتبين كما في قوله تعالى:((كِرَامًا كَاتِبِينَ)) (سورة الانفطار ١١).

رابعها: القلم الذي بأيدي الناس يكتبون به ما يعلمهم الله (عز وجل)، ومن أهمها أقلام كتّاب الوحي، الذين كانوا يكتبون الوحي بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكتابة سليمان –عليه السلام– إلى ملكة سبأ.

---

(١) ينظر : التحرير والتنوير : ٤٦٢/٣٠.

(٢) ينظر: التحرير والتنوير: ٤٦٢/٣٠.

(٣) المسند للشاشي، أبو سعيد الهيثم بن كليب بن معقل الشاشي، تحقيق: د. محفوظ عبد الرحمن زين الله، مكتبة العلوم والحكم، ط١، المدينة المنورة، ١٤١٠هـ: ١٢٤/٣.

(٤) م . ن: ١٤٣/٤.

(٣) ينظر: اضواء البيان للشنقيطي: ٣٥٥/٩.

وقال الشنقيطي: "وقوله تعالى: **(الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ)** شامل لهذا كله، إذا كان هذا كله شأن القلم وعظم أمره، وعظيم المنّة به على الأمة، بل وعلى الخليقة كلها"(١).

وقد أُمر النبي(ﷺ) بكتابة العلم، صح ذلك من حديث أنس بن مالك، وعبد الله بن عمرو، وعبد الله بن العباس: (قيّدوا العلم بالكتاب)(٢) وعن عبد الله بن عمرو قال: كنت أكتب كل شيء أسمعه من رسول الله (ﷺ) أريد حفظه، فنهتني قريش، وقالوا: تكتب كل شيء ورسول الله (ﷺ) بشر يتكلم في الغضب والرضى! فأمسكت عن الكتاب وذكرت لرسول الله (ﷺ) فأومأ بإصبعه إلى فيه، وقال: (اكْتُبْ فَوَ الَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا يَخْرُجُ مِنْهُ إِلا حَقٌّ).

سبب نزول السورة :

نزول هذه السورة من قوله تعالى ﴿ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ۝٩ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ﴾ إلى آخر السورة نزلت في أبي جهل، فعن ابن عباس قال كان النبي (ﷺ) يصلي فجاء أبو جهل فقال ألم أنهك عن هذا فانصرف إليه النبي (ﷺ) فزجره فقال أبو جهل والله إنك لتعلم ما بها ناد أكثر مني فأنزل الله تعالى ﴿ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ۝١٧ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ﴾ قال ابن عباس والله لو دعا ناديه لأخذته زبانية الله تبارك وتعالى، وقال الالوسي "صحيح كما قال البعض وهو الذي اختاره وأما صدر هذه السورة الكريمة هو أول ما نزل من القرآن على الإطلاق"(٣).

وقال: أبو حيان " فيما قبلها خلق الإنسان في أحسن تقويم ثم ذكر ما عرض له بعد ذلك ذكره هنا منبهاً على شيء من أطواره وذكر نعمته عليه ثم ذكر طغيانه بعد ذلك وما يؤول إليه حاله في

---

(١) المستدرك على الصحيحين للحاكم، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ط٢، بيروت– لبنان، ١٤٢٢ه–٢٠٠٢م: ١٧٦/١.

(٢) سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، د.ت: ٣١٨/٣.

(٣) ينظر: لباب النقول في أسباب النزول، جلال الدين السيوطي، تحقيق: د. عبد الغفار سليمان البنداري، المكتب الثقافي للنشر والتوزيع، ط١، القاهرة، ١٤٢٣ه– ٢٠٢م: ٣٠٦ وينظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، للألوسي، تحقيق: محمد أحمد الأمد وعمر عبد السلام السلامي، دار إحياء التراث العربي، ط١، بيروت– لبنان، ١٤٢١هـ–٢٠٠٠م: ٥٥٦/٣٠.

الآخرة"[١]، وقال:" هذه السورة مكية، وصدرها أول ما نزل من القرآن وذلك في غار حراء على ما ثبت في صحيح البخاري وغيره"[٢].

ومن أعجب ما يلفت الانتباه في هذه السورة نزولا ابتداؤها بكلمة (إقرأ) مكررة، ولكن يتبدد العجب عندما نعلم أنّ القرآن الكريم معجزة تتجاوز الزمان والمكان، ومن مظاهر المعجزة هذه النقلة التي ابتدأها، وكأن هذه الكلمة (إقرأ) بمفهومها ودلالاتها الواسعة، وقد تكررت(مرتين) هي (حسن ابتداء) على المستويين: الأول على مستوى السورة وختامها، وعلى مستوى ابتداء تأسيس حضارة من نوع جديد لا عهد للمخاطبين بها يؤسسها القرآن بسوره وآياته وكلماته النورانية التي نسخت ظلمات ليل ادلهم وطال ، ولاعجب أن تكون أول كلمة تنزل من السماء إلى الأرض خطاباً للرسول (ﷺ) ابتداءً، وخطاباً لأمته المكرمة على سائر الأمم بهذا الخطاب، و تعجب أيضاً بعض المفسرين – من قبل– للقرآن الكريم بالقول: "من عجب أن تكون كلمة ((اقرأ)) أول ما استهل به الوحي إلى النبي الأمي المبعوث في الأميين رسولاً منهم، وأن يكون ((الكتاب)) معجزة هذا النبي المصطفى لختام رسالات الدين منذ أربعة عشر قرناً من الزمان، والعصر عصر بداوة، والبيئة وثنية جافية لا عهد لها بمظاهر الحضارة المادية والفكرية التي ازدهرت في بيئات أخرى"[٣]. ويتبدد التعجب أكثر عندما نعلم يقيناً بأن خطاب القرآن الكريم " قد اكتسب الصفة الكلية والسعة المطلقة والرفعة السامية والإحاطة الشاملة؛ لصدوره مباشرة من المقام الواسع المطلق الربوبية العامة الشاملة للمتكلم الأزلي سبحانه.. ويكتسبها من المقام الواسع العظيم لمن أنزل عليه هذا الكتاب، ذلكم النبي الكريم (ﷺ) الممثل للنوع البشري والمخاطب باسم الإنسانية قاطبة، بل باسم الكائنات جميعاً.. ويكتسبها أيضاً من توجه الخطاب إلى المقام الواسع الفسيح لطبقات البشرية كافة وللعصور كافة.. ويكتسبها أيضاً من المقام الرفيع المحيط بالأرض والسماء، بالأزل والأبد، تلك القوانين التي تخص ربوبيته وتشمل أمور المخلوقات كافة"[٤].

---

(١) البحر المحيط: ٤٨٨/٨ .

(٢) م . ن: ٤٨٨/٨.

(٣) التفسير البياني للقرآن الكريم، د.عائشة عبد الرحمن، بنت الشاطئ، دار المعارف بمصر، ط٢، ١٩٦٦م: ١٥/٢

(٤) الكلمات، بديع الزمان، سعيد النورسي، ترجمة: احسان قاسم الصالحي، دار سوزلر للنشر، ط٦، القاهرة، ٢٠١١م: ٥١٩.

فالقرآن خطاب واسع سامٍ محيط شامل يبرز اعجازاته الخارقة مع كل العصور بوصفه خطبة أزلية محيطة شاملة.

خصوصية المعالجة:

- تتأتى خصوصية المعالجة في هذا البحث من عدة محاور حاول البحث الوقوف عليها وهي: كون مطلع السورة أول ما نزل من القرآن الكريم بإجماع المفسرين وهو يحمل في طياته خصوصية بالغة الأهمية إذ يتناول منظومة القراءة والعلم، وهي منظومة بالغة الخطورة والأهمية في حياة الأمم، ولاسيما التي بودئت أولا في الخطاب عن طريق نبيها ورسولها الأكرم محمد (ﷺ).

- كون السورة الكريمة ضمت في بعض مقاطعها ولاسيما المقطع الثالث (أرأيت الذي ينهى عبداً إذا صلى ... ألم يعلم بأن الله يرى) ضمائر اختلف المفسرون في إرجاعها. فضلاً عن فهم (أرأيت) الواردة في المقطع نفسه، إذ لاحظ البحث أن تفسير (أرأيت) بمعنى أخبرني هو تفسير قاصر.

- كون السورة انطوت على اعجازات علمية دقيقة في بعض كلماتها وتعبيراتها ارتأى البحث إظهارها لأنها أدلة قاطعة على مصدر هذا القرآن في أول خطابه للبشرية عن طريق من أرسله الله (عز وجل) رحمة للعالمين.

- كون القراءة البلاغية تحمل خصوصيتها في معالجة الأساليب والصور في نسيج السورة الكريمة بوصف الفنون البلاغية قادرة على الكشف عن دقائق التعبير القرآني وبلاغته عبر مقاطع السور الكريمة.

عنوان السورة:

تنبثق أهمية العنوان بشكل عام من كونه يشكل قيمة دلالية عند الدارس حيث يمكن اعتباره ممثلا للنص وواجهته الإعلامية، كما انه الجزء الدال من النص الذي يؤشر على معنى ما، فضلا عن كونه وسيلة للكشف عن طبيعة النص والمساهمة في فك غموضه[1]، وبناء على هذا يعد العنوان جزءاً من تفسير السورة كلها، فهو "عنصر مهم في إدراك مقاصدها، ولهذا

(١) هوية العلامات في العتبات وبناء التأويل، شعيب خليفي: ١١.

تصبح عملية ربط العنوان بالمقاصد فيها أمراً بالغ الأهمية .. لأن مفتاح السورة هو اسمها"[١]. فيصبح العنوان والاسم للإنسان أو العمل الأدبي الإبداعي "نوعاً من الرمز المكثف الذي يحتوي في داخله المسمى كله شكلاً ومضموناً [٢].أو هو" مفتاح يفضي بنا إلى عالم الدلالة أو الرمز أو إليهما معا"[٣] وعليه فللعنوان مميزات أهمها:

- يتميز مصطلح العنوان بقدرته الكبيرة على فك شفرة النص واستكناه دلالاته العميقة، من خلال قابليته على الاندماج بوحدة النص [٤].
- يكون العنوان هو الإشارة الأولى
- يمكننا تحديد هوية النص الذي نحن بصدد دراسته من خلال معرفة عنوانه، فالعنوان يقدم لنا جوازاً نعبر به إلى عالم النص، وبذلك نستطيع اكتشاف ما فيه من مضامين وأفكار كانت مخبأة عنا، إذن فالعنوان يعد جزءاً أساسيا من رسالة النص لما يحمله من قيمة في إضاءة الدلالات الغامضة الموجودة داخله.
- يمثل العنوان المنبه الأول الذي يقف أمامه القارئ قبل الولوج إلى عالم النص، ولهذا وصف العنوان بأنه العتبة الأولى لفهم النص، إذ هو إعلان عن طبيعة النص، وهو بهذا إعلان عن القصد الذي تولد عنه[٥].

---

(١)سورة هود – دراسة في مستويات البناء ، منى زيدان ذياب، (أطروحة دكتوراه))، بإشراف أ. د. عبد الله محمود المولى، كلية الاداب – جامعة الموصل، ٢٠١١م: ٥١.

(٢) توهج المتن في العنوان في رواية (السيف والكلمة) لعماد الدين خليل، أ. د. علي كمال الدين الفهادي، ص٧٩، المؤتمر العلمي الثاني لكلية التربية الأساسية– قسم اللغة العربية (٢٧-٢٨/٤/٢٠٠٨) .

(٣) ينظر: شعرية السر المخفي في (الثعابيني) عنواناً : أ. د. علي كمال الدين الفهادي (بحث)، ص٤ . بحث منشور في : مجلة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية المجلد (١٧) العدد (٣)، ٢٠١٠م .

(٤) سورة هود– دراسة في مستويات البناء ، منى زيدان ذياب، أطروحة دكتوراه، كلية الاداب/ جامعة الموصل، ٢٠١١، ص٤٩ . وينظر: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق– دراسة تطبيقية على السور المكية– صبحي الفقي: ١٢٢/٢، وينظر أسماء سور القران– دراسة لغوية– باسل خلف محمود – رسالة ماجستير، كلية التربية/ جامعة الموصل، ١٩٩٩م:٦٢.

(٥) دراسة في مستويات البناء (أطروحة سابقة): ٤٩ .

ولهذا العنوان (العلق) للسورة أطراف كثيرة وكبيرة من المعاني والموضوعات لذلك فهو رمز لدلالات كثيرة ومعاني غزيرة، ترتبط أولاً ببنية السورة الكريمة البنية الداخلية لها، والبنية الخارجية التي تشير إليه، فهو حركة داخلية في أحشاء الرحم تنمو وتزداد وتكتمل ثم حركة خارجية تنمو وتزداد وتكتمل، فهو التقدير الحكيم الذي يجلّيه العنوان، قال السيوطي: " وينبغي النظر في اختصاص كل سورة بما سميت به، ولا شك أن العرب تراعي في كثير من المسميات أخذ أسمائها من نادر أو مستغرب يكون في الشيء، من خلق أو صفة تخصه، أو تكون معه أحكم أو أكثر أو أسبق، لإدراك الرائي للمسمى. ويسمون الجملة من الكلام أو القصيدة الطويلة بما هو أشهر فيها، وعلى ذلك جرت أسماء سور القرآن"(١).

ولمعرفة علاقة العنوان ببنيتي السورة ، لابد من الوقوف على معنى (العلق):

العلقة في اللغة تأتي للمعاني الآتية:

- دودة صغيرة تعيش في البَرك وتمتص دماء كائنات أخرى.
- شيء متعلق في غيره وهذان المعنيان يتحققان في شكل الجنين الإنساني الذي يبدو في شكل يشبه العلقة (الدودة) التي تعيش في الماء تماما ويتعلق في جدار الرحم بحبل السرة.

وهذان المعنيان للفظ (علقة) يصفان المظهر الخارجي لطور الجنين وصفا دقيقا ومعبرا. ويأتي لفظ علقة بمعنى الدم المتخثر أو المتجمد وهذا المعنى للفظ العلقة يصف ابرز تركيب داخلي يؤثر على المظهر الخارجي، ففي مرحلة العلقة تتكون الدماء داخل الأوعية الدموية في شكل جزر مغلقة، تجعل الدم جامدا غير متحرك في الأوعية الدموية معطيا إياها مظهر الدم المتجمد(٢). أما البنية الخارجية فتتمثل في مقاطع السورة التي يتعلق بها الإنسان بالوجود، بوصفه من أكرم المخلوقات كما يشير اسم التفضيل (الأكرم)، كرمه الله بأن أخرجه من ظلمة العدم إلى نور الوجود، ولكن المفارقة الحادة التي تسجلها السورة بمقاطعها أنها تظهر أنموذجاً بعد هذه النعمة العظيمة يعلن الكفر والجحود ويقابل بها الخالق العظيم الكريم على هذه النعمة التي تستحق الشكر والطاعة والاستسلام، وهذه المفارقة تسجلها السورة بطغيانها وجحودها...

---

(١) الإتقان في علوم القرآن، للحافظ جلال الدين السيوطي، تقديم وتعليق: د. مصطفى ديب البُغا، دار ابن كثير، ط٣، دمشق، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م: ١٧٧/١ .

(٢) مصطلحات قرآنية لمراحل وأطوار التخلق البشري، كيث ل. مور وعبد الحميد الزنداني، ضمن كتاب علم الأجنة في ضوء القرآن والسنة، هيئة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، مكة المكرمة (د.ت): ١٥٧.

المقطع الأول

﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ۝٥ ﴾

((اقرأ باسم ربك الذي خلق)) هذه الآية الكريمة نهاية في الإبداع فهي حسن ابتداء لمرحلة جديدة نقية صافية، يدل على هذا الصفاء اقتران القراءة باسم الرب (سبحانه وتعالى) خالق كل شيء، فهي تختلف عن قراءة الأمم السابقة، فيقترن مع حسن الابتداء بديع آخر هو تشابه الأطراف بين (اقرأ –خلق) فالتناسب بينهما أن القراءة هي سبيل التعرف على خلق الله وأسرار تكوينه والتعرف على خلق الله يؤدي إلى التعرف على الخالق، وهذا كله يميز قراءة هذه المرحلة الجديدة.

وفعل الأمر (اقرأ) المتصدر يحتمل معنيين: الأول أن يكون الأمر من قبيل: الأمر التكويني، أي كن قارئاً يا محمد صلى الله عليه وسلم، لأن النبي (ﷺ) لم يكن قارئاً ولا كاتباً، فالفعل (اقرأ) يقرر إيجاد القراءة فيه (صلى الله عليه وسلم) وهو إيجاد بقدرة الله وإرادته[١].

وسياق الآية ببلاغته يوحي بذلك فكما اوجد الله عز وجل المخلوقات (الذي خلق) أي خلق كل شيء بدلالة حذف المفعول الذي أفاد العموم فهو فعل مطلق غير مقيد فهو الرب الخالق المنفرد بالخلق فهو الذي أوجد فيك القراءة بعد إن لم تكن فيك. ويحتمل الفعل (خلق) الاّ يقدر له مفعول والمعنى ((انه الذي حصل منه الخلق واستأثر به لا خالق سواه))[٢].

ومن بلاغة الآية الكريمة استعمال (رب) المضاف إلى المخاطب (ﷺ) (اقرأ باسم ربك) بدلاً من لفظ الجلالة العظيم (الله) للإشعار بدلالة التربية ((لأن لفظ الرب مشتق من التربية، فالله سبحانه وتعالى مربّ ومدبر لخلقه، المربّي له صفتان أساسيتان.. انه مُمِدّ ، وأنه يرعى، فالذي

(١) ينظر: محاسن التأويل، القاسمي، محمد جمال الدين القاسمي ، ضبطه وصححّه وخرّج آياته وأحاديثه محمد باسل عيون السّود، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، ١٤١٨هـ–١٩٩٧م: ٥٠٧/٨ .

(٢) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، جار الله محمود بن عمر الزمخشري، دار المعرفة، بيروت– لبنان، (د.ت): ٢٧٠/٤ .

يمدنا بما نحتاج اليه هو ربنا، والذي يُمدُّ أجسادنا هو ربنا، والذي يربي نفوسنا، ويهدينا إلى صراطه المستقيم))[1].

فالربّ سبحانه وتعالى هو الخالق وهو المَمِدّ لخلقه والموجّه لهم، لذلك فالإنسان في نعم ثلاث كبرى أسبغها عليه الرب هي ((نعمة الإيجاد، ونعمة الإمداد، ونعمة الهدى والإرشاد، أوجدك ولم تكن شيئاً من قبل، وأمدَّك بما تحتاج إليه، ثم هداك إليه وأرشدك))[2].

وهذه المعاني هي التي يؤكدها السياق باستعمال لفظ (الرب)، ومما يزيد المعنى سمواً وتأكيداً الإضافة في (ربك) الموحية بدلالة التكريم والتشريف له (ﷺ) ولأمته تبعاً له.

أو أن يكون الفعل (اقرأ) أمراً تكليفياً، أي اقرأ باسم ربك، أي بأن تكون قراءتك لله لا لأحد سواه، أي محمدّ (ﷺ) قارئ باسم الله[3].

وأرى أن نجمع لفعل الأمر المعنيين (التكويني والتكليفي) مع خصوصية كل منهما بالاقتران، فاقتران الفعل التكويني بشخص الرسول (ﷺ) دال على القدرة الإلهية بوصفه معجزة بحقه تتخطى الأخذ بالأسباب أسباب التعلم والتكسب، وفي حق غيره من المخاطبين فهي مقرونة بالتعلم والأخذ بالأسباب مقرونة بالتكليف.

ومن بلاغة الآية الكريمة ذكر فعل القراءة مقرونة بالاسم اسم الرب (باسم ربك)، وذلك لأن الاسم دال على ما تعرف به الذات وخلق القراءة يلفت إلى الذات وصفاتها[4]، فتتحول القراءة في الآية مفتاحاً معرفياً للاسم، والاسم هو يقود إلى (الذات الإلهية) وصفاته. وبذلك تتحقق في الآية بلاغة عظيمة تشير إلى معرفة الله، ومعرفة الله مطلب أولي وهو الأساس الذي يبنى عليه الدين بكل تفصيلاته.. والآية ترشد إلى معرفة الله عن طريق أسمائه وخَلْقِه.

(اقرأ باسم ربك الذي خلق)، فهو الرب الموصوف بالخلق وفعل الخلق غير مقيد في الآية بمفعول، فدل على كل الموجودات التي أوجدها الله سبحانه، والدالة على قدرته وإرادته.

ومن الأسرار البلاغية لذكر (اسم) في الآية:

---

(١) موسوعة أسماء الله الحسنى د. محمد راتب النابلسي، دار المكتبي، ط٦، سورية- دمشق، ١٤٣١ه-٢٠١٠م: ٢٩٤/٣ .

(٢) موسوعة أسماء الله الحسنى: ٢٩٥/٣ .

(٣) محاسن التأويل: ٥٠٨/٩ .

(٤) م . ن: ٥٠٧/٩ .

- سرُّ إيراده أن المنوه به إذا كان في غاية العظمة، كثيراً ما تضاف ألفاظ التفخيم إلى اسمه، فيقال: سبح اسمه ومجد ذكره.
- إن الحق تعالى إنما يعرف بأسمائه الحسنى، لاستحالة اكتناه ذاته العليا، فذكر تنبيهاً على ذلك[١].

فالآية ببلاغتها كشفت عن معانٍ عظيمة ونعم جليلة.

- نعمة الإيجاد للمخلوقات التي لا يحيط بها الوصف والدالة على عظمة الموجد وقدرته.
- نعمة الإمداد للمخلوقات بعد الإيجاد.
- نعمة القراءة والمعرفة التي أوجدها بالمخاطب على وجه التخصيص لجنس الإنسان تكويناً أو تكليفاً، وتأكدت هذه النعمة الخاصة بالآية الكريمة التالية.

ومن دقائق بلاغة التعبير القرآني في الآية((اقرأ باسم ربك الذي خلق)) اختيار اسم من أسماء الله الحسنى (الرب) دون اسم الجلالة (الله)، وذلك للإشعار بدلالة التربية والرعاية من الخالق العظيم (سبحانه) لخلقه على المستويين:

الأول: رعاية هذا الخلق وتربيته إلى الغاية التي قدرها الله وأرادها.

الثاني: التربية والتبليغ إلى الكمال، وهو المفهوم من دلالة الإضافة إلى المخاطب أولاً (ﷺ)، وقد كشف أبو السعود (رحمه الله)عن ذلك بقوله:

((والتعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن التربية والتبليغ بالكمال اللائق شيئاً فشيئاً مع الإضافة إلى ضميره عليه السلام، للإشعار بتبليغه عليه السلام إلى الغاية القاصية من الكمالات البشرية، بإنزال الوحي المتواتر))[١].

فنعمة الخلق والإيجاد بعد العدم والظلمة من أعظم النعم التي منَّ بها الربّ على المخلوقات، ثم نعمة التربية والإمداد لهذا الخلق إلى الهدف المرسوم له، ثم خص الله من هذا الخلق العظيم (الإنسان) وهو المقصود بالخطاب، بعد أن اخبره بخلق الكائنات الدالة عليه(سبحانه وتعالى) دلالة قاطعة على عظمته وقدرته وإرادته وانه المتفرد بالخلق المربي لهم لا يتركهم هملاً، فكيف بالإنسان جنس الإنسان الذي خطته بالتكريم والتمييز بالوحي ممثلاً بشخص الرسول الكريم(ﷺ).

(١) محاسن التأويل: ٥٠٨/٩.

((خلق الإنسان من علق)) في هذه الآية ترديد حيث تردد (خلق) في هذه الآية تركيزا لهذا المعنى في ذهن السامع، وفي هذه الآية انتقال من الإطلاق إلى التخصيص، وهذا إرشاد للمتلقي عند البدء بالتأمل في خلق الله أن يتأمل في نفسه باعتباره إنساناً كيف خلق، ثم تتسع دائرة التأمل إلى كل الموجودات.

((خلق الإنسان من علق)) ونلاحظ توافق الفواصل في هاتين الآيتين على حرف (القاف) الذي فيه جهور وقوة تتلاءم مع الحدث العظيم والمعاني العظيمة التي جاءت بها هاتان الآيتان.

وارى أن تكرار الفعل (خلق) فيه مزيد عناية وتكريم وتمييز لجنس الإنسان لذلك خصه بالذكر قال الزمخشري: ((خلق الإنسان تفخيماً لخلق الإنسان ودلالة على عجيب فطرته))[1]، وإبراز السياق للجنين في الأيام الأولى من خلقه (من علق) بلاغة تعمق دلالة التربية والرعاية لهذا الإنسان وهو بعد في رحم أمه لا حول له ولا قوة يغذيه ويربيه خلقاً من بعد خلق في ظلمات ثلاث[2]، وخص (علق) بالذكر من أطوار الخلق لدلالة بلاغية تومئ إلى إعجاز علمي كشفه العلم الحديث[*]، وهذا التخصيص هو ما يعرف في البديع بفن (التنكيت)[*]، حيث ذكر العلقة دون غيرها لنكتة، فهي تتحقق بعد التقاء عناصر الجنسين اللذين هما أساس الحياة وأساس كل شيء فيها من أفعال القراءة والكتابة.

- إن نطفة الذكر ونطفة المرأة بعد الاختلاط ومضي مدة كافية معلومة تصيران كلتاهما(علقة) والعلقة أدل على أطوار تكون الإنسان.
- والنطفة اشتهرت في ماء الرجل فلو لم تخالطه نطفة المرأة لم تصر العلقة فلا يخلق الجنين.

---

(١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، أبو السعود العمادي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د.ت): ٤١٣/٨ .

(٢) الكشاف:٢٧٠/٤.

(*) ينظر: سورة الزمر، من الآية:٤.

(*) التنكيت: وهو أن يقصد المتكلم الى شيء بالذكر دون أشياء كلها يسدُّ مسدّه لنكته بلاغته. ينظر: تحرير التحبير، ابن أبي الإصبع المصري: ٤٩٩.

- الإشارة إلى أن خلق الإنسان (من علق) هو الذي ينطوي على قوى كامنة وقابليات عظيمة أعظمها القراءة والكتابة والعلم[١].

لذلك فان ذكر طور العلقة بقوله (من علق)[*] هو أدل على المعنى المقصود بدقة متناهية معجزة، ففي هذا الطور من الخلق تكمن القابليات والاستعدادات والمواهب، مما ينسجم ويتناغم مع مطلب القراءة في مستهل السورة فضلاً عن أن ذكر ابتداء الخلق هنا في السورة من العلقة ينطوي على إعجاز علمي((لأن الثابت في العلم الآن أن الإنسان يتخلق من بويضة دقيقة جداً لا ترى إلا بالمرآة المكبرة أضعافاً تكون في مبدأ ظهورها كروية الشكل سابحة في دم حيض المرأة فلا تقبل التخلق حتى تخالطها نطفة الرجل فتمتزج معها فتأخذ في التخلق إذا لم يعقها عائق كما قال تعالى (مخلقة وغير مخلقة) سورة الحج: من الآية ٥، فإذا أخذت في التخلق والنمو امتد تكورها قليلاً فشابهت العلقة التي في الماء مشابهة تامة في دقة الجسم وتلونها بلون الدم الذي هي سابحة فيه وفي كونها سابحة في سائل كما تسبح العلقة))[٢] والعدول من المفرد (علقة) إلى الجمع (علق) يحدث جناساً غير تام بين (خلق، علق) تنطوي تحته وتواصل دلالي بلاغة قال القاسمي: ((قال (علق) دون (علقة) لرعاية الفواصل[٣]، ولان (الإنسان) مراد به الجنس، فهو في معنى الجمع. فلذا جمع ما خلق منه ليطابقه. وخص العلق دون غيره من العبارات، لأنه أدل على كمال القدر، من المضغة مع استلزامه لما تقدمه ومع رعاية الفواصل))[٤].

((اقرأ وربك الأكرم))

---

(١) ينظر التحرير والتنوير: ٤٣٨/٣٠.

(*) العلقة: "دودة صغيرة تسمى علقة، وهي حمراء داكنة تكون في المياه الحلوة، تمتص الدم من الحيوان اذا علق خرطومها بجلده وقد تدخل الى فم الدابة وخاصة الخيل والبغال فتعلق بلهاته ولايتفطن لها" ينظر التحرير والتنوير: ٤٣٨/٣٠ وينظر: علم الاجنة في ضوء القران والسنة، هيئة الإعجاز العلمي في القران والسنة بمقر رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة ، البحث الثالث (وصف التخلق البشري طور العلقة والمضغة ، كيث ل.مور وعبد المجيد الزنداني ، ص٥٨ ومابعدها)

(٢) التحرير والتنوير: ٤٣٨/٣٠.

(٣) الفواصل تابعة للمعنى وليس العكس.

(٤) محاسن التأويل:٥٠٨/٩.

تكرار فعل القراءة (اقرأ) فيه توكيد بالفعل واهتمام به، فضلاً وذلك بدلالة حذف المفعول وهو المقروء، فكان التركيز على الفعل وهو فعل القراءة للاهتمام عما يحققه هذا التكرار من زيادة معنى جديد، ذلك أن الفعل الأول (اقرأ باسم ربك الذي خلق) قرن في سياقه بما يتعلق بالربوبية، والفعل الثاني قرن بما يتعلق بالشرع (اقرأ وربك الأكرم. الذي علم بالقلم) فالتعليم بالقلم مما يعتمد الشرع عليه، فيه الوحي يكتب ويحفظ، لذلك كان تكرار الفعل ثانية هو تأسيس لهذا المعنى المتلازم بالأول[1]، واقترن أيضا بصفة (الأكرم) التي ذكرت دون غيرها من صفاته (سبحانه وتعالى) بأسلوب التنكيت وذلك لان الله (سبحانه وتعالى) هو المعلم الأول والآخر الذي يعلم الإنسان دائما إذا قرأ باسمه (سبحانه وتعالى) يعلمه أشياء لا يعلمها احد مثلها.

ولا تخفى أيضا بلاغة الابتداء بالفعل (اقرأ) وتكراره ثانية، من حيث الإشارة إلى القرآن الكريم، فالقرآن الكريم مصدر كالغفران والشكران، وهو مصدر بمعنى (فاعل) أي قارئ، وبمعنى (مفعول) أي مقروء، فالقرآن بهذا هو قارئ ومقروء، قارئ لأنه من القرء: يعني الجمع، فهو جامع للأحكام والآداب الموجودة في الكتب السابقة له – كما قال تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾سورة المائدة: من الآية ٤٨ ، فالقرآن جامع لكل ما تقوم به أمور الدنيا وأمور الآخرة ، وهو (القرآن) مقروء، أي متلو لأنه يتلى والقراءة بمعنى التلاوة[2].

فالابتداء بالفعل (اقرأ) وتكراره بلاغة تكمن بالاهتمام به لأنه أول ما نزل من القرآن، وللفت الأنظار وتوجيهها إلى أهمية القراءة المرتبطة بهذا القرآن العظيم والحث على الشروع بقراءته ولهذا السر البلاغي قدمه.

وبلاغة الإضافة (باسم ربك) إضافة الرب للمخاطب تشريف له وتكريم، وخصصت الربوبية بالإضافة، لان المخاطب كان بذاته وصفاته معدوماً ثم صار موجوداً، فلابد لك في ذاتك

(١) ينظر: تفسير جزء عم، ابن عثيمين، راجعه وخرَّج أحاديثه، د. عماد علي عبد السميع، الناشر مكتبة الإيمان، المنصورة، (د. ت): ٣٣.

(٢) ينظر: م . ن: ٢٢١ .

وصفاتك من خالق، وهذا الخلق والإيجاد تربية فدل ذلك على أني ربك وأنت مربوبي[١]، ومن ثم تتجلى بلاغة إضافة الربوبية بدلاً من العبودية، لان السياق يركز على الخلق والإيجاد والتربية وكلها دلائل واضحة على الرب الكريم.

والأكرم: اسم تفضيل غير مسلوب المفاضلة، وكرمه سبحانه لا يشابهه كرم من مخلوق، فاسم التفضيل يقتضي انه أفضل من كل شيء وأكرم من كل احد، قال احد العلماء: ((بعض العلماء رحمهم الله: يفسرون اسم التفضيل باسم الفاعل حذراً من أن يكون هناك مفاضلة بين الخالق والمخلوق، ولا شك في أن هذا خطأ))[٢]. وهو رأي وجيه لان فهم معنى اسم التفضيل بمعنى اسم الفاعل (الأكرم = الكريم) كما في الآية لا يدل على الكمال في المعنى في سياقه، فالأكرم في الآية يدل على انه أكرم من كل شيء، أما اسم الفاعل (كريم) قد يوافقه غيره فيه. فاسم التفضيل في الآية على إطلاقه ((لبيان إن الله (عز وجل) أكرم من يرتجي في الإعطاء.. فهو (الأكرم) في ذاته وأوصافه وأفعاله. وهذا الخلق والتعليم إنما نشأ من كرمه وبره وإحسانه، لا من حاجة دعته إلى ذلك، وهو الغني الحميد))[٣].

وليس هناك كلمة تقوم مقام اسم التفضيل في هذا السياق (الأكرم) ((وانفردت آية العلق بصيغة ((الأكرم)) معرفة بأل، بما يفيد اختصاصه تعالى بهذه الرتبة العليا على عموم إطلاقها))[٤]، فاسم التفضيل أفاد العموم والإطلاق دون تعلق بتأويل أكرميته تعالى كما ذهبت إلى ذلك بنت الشاطئ في تفسيرها[٥]، ولكن السياق يجلي من مظاهر الكرم في تعليم الإنسان بالقلم ما لم يعلم بعد أن كان الإنسان علقة ((فأول أحوال الإنسان كونه علقة وهو أخس الأشياء وآخر أمره هو صيرورته عالماً بحقائق الأشياء، وهو أشرف مراتب المخلوقات فكأنه تعالى يقول: انتقلت من أخس المراتب إلى أعلى المراتب فلابد لك من مدبر ينقلك من تلك الخسيسة إلى هذه

(١) التفسير الكبير، للرازي، دار إحياء التراث العربي، ط٢، بيروت– لبنان، ١٤١٧ه– ١٩٩٧م: ٢١٦/١١ .

(٢) الشرح الممتع على زاد المستقنع، محمد بن صالح عثيمين، اعتنى به وخرَّج أحاديثه أبو بلال جمال الدين عبد العال، دار ابن الهيثم، القاهرة، ٢٠٠٣م: ٣٩٩/٢ .

(٣) محاسن التأويل : ٥٠٨/٩–٥١٠ .

(٤) التفسير البياني للقرآن الكريم، بنت الشاطئ: ٢١/٢ .

(٥) ينظر: م . ن: ٢١/٢–٢٢ .

الحالة الشريفة، ثم فيه تنبيه على ان العلم أشرف الصفات الإنسانية أي كأنه تعالى يقول: الإيجاد والإحياء والإقرار والرزق كرم وربوبية، أماّ الأكرم هو الذي أعطاك العلم لأن العلم هو النهاية في الشرف))[1].

((الذي علم بالقلم)) ونلاحظ في هذه الآية والآية التي بعدها تغير في الفاصلة، وتوافقت هذه الآيات على حرف (الميم) الذي فيه هدوء وتناغم ينسجم مع معاني القراءة والتعلم والتلقي بأشكاله العديدة.

والقلم في الآية كناية عن صفة الكتابة، أي ((علم الإنسان الكتابة بالقلم، والمراد التنبيه على فضيلة الكتابة))[2]، فبعد ان نبه السياق القرآني وأكد القراءة نبه على فضيلة الكتابة، وكلاهما يكمل الآخر، ولما كان السياق القرآني افتتح بالقراءة المرتبطة بالقرآن أولاً، فإن الكناية بالقلم عن الكتابة فيه اشارة الى كتابة هذا القرآن وحفظه من اول نزوله على الرغم من ان الله سبحانه ومن كرمه قد تكفل بحفظه ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ سورة الحجر، الآية:٩ ، ولكن الكناية عن الكتابة توحي بكتابة كل ما يتعلق بالشرع او ما يتعلق بالقرآن. او غير ذلك وهو كرم الله فالتعليم بالقلم هو من ((أعظم نعمه على عباده. إذ به تخلد العلوم وتثبت الحقوق وتعلم الوصايا وتحفظ الشهادات ويضبط حساب المعاملات الواقعة بين الناس، وبه تفيد أخبار الماضين للباقين اللاحقين. ولولا الكتابة لانقطعت اخبار بعض الازمنة عن بعض، ودرست السنن وتخبطت الأحكام، ولم يعرف الخلف مذاهب السلف. وكان معظم الخلل الداخل على الناس في دينهم ودنياهم، إنما يعتريهم من النسيان الذي يمحو صور العلم من قلوبهم. فجعل لهم الكتاب وعاء حافظاً للعلم من الضياع. كالأوعية التي تحفظ الأمتعة من الذهاب والبطلان. فنعمة الله عز وجل بتعليم القلم بعد القرآن، من اجلّ النعم))[3].

---

(١) التفسير الكبير، للرازي: ٢١٨/١١ .

(٢) م.ن: ٢١٨/١١ .

(٣) مفتاح دار السعادة ومنشور أهل العلم والدراية، ابن القيم الجوزية، دار ابن الجوزية، ط١، مصر- القاهرة، ١٤٣٣هـ-٢٠١٢م: ٢٧٨/١-٢٧٩.

((علم الإنسان مالا يعلم)) تتجلى بلاغة الآية على مستويين الأول على مستوى كمال الاتصال بين هذه الآية والتي قبلها فيكون المعنى علم الإنسان بالقلم ما لم يعلمه[١]، أي أصبح عالماً بعد أن كان جاهلاً فتكون هذه الآية بياناً للآية التي قبلها وهي قوة ترابط معنوي سببه ترك الوصل بالواو وهو احد مواضع الفصل بين الآيتين:

والمستوى الثاني: أي علم الإنسان غير ذلك، ولا يخفى البعد العلمي لهذا المستوى في الآية كما يبدو لي من جميع ما علمه الله سبحانه الإنسان من العلوم مما كشفه ومما سيكشفه مما لا يخطر على العقول والإفهام على مرّ العصور إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها...

ولما لم يكن بين المعنيين اللذين دلت عليهما الآية من تنافٍ فيجب الجمع بينهما مما يحقق من تعدد المعنى ووفرة الدلالة وهي من خصائص بلاغة القرآن.

وبعد أن جلّى المقطع الأول الكرم الإلهي على الإنسان إيجاداً وإمداداً وإكراماً وتشريفاً، يجلي لنا المقطع التالي مفارقة أو مقابلة متمثلة بطغيان الإنسان وتمرده وعصيانه وتجاوزه واتباع هوى نفسه فيقابله المقطع في نهايته بالتهديد الشديد والوعيد.

المقطع الثاني

﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسۡتَغۡنَىٰٓ ۝٧ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجۡعَىٰٓ ۝٨ ﴾

هنا تخلص من ذكر القراءة والتعلم والقلم وكل ما يحمد فعله إلى ذكر طغيان الإنسان واستغنائه وكل ما لا يحمد فعله، ويقترن بحسن التخلص أسلوب الالتفات من الخطاب ((اقرأ باسم ربك الذي خلق...)) إلى الغيبة، وهذا الانتقال حدث بأسلوب ثالث وهو تغيير الفاصلة وتواطأت هذه الآيات والتي بعدها على الألف المقصورة التي انسجمت مع قصر مقاطعها في هذه الآيات ومع تجزئة المعنى الذي اتبعه الأسلوب القرآني.

افتتح المقطع بـ(كلا) وهي تحتمل معاني عدة، فقد يكون ردعاً وزجراً أو تكون بمعنى (حقاً)، أو تكون بمعنى (ألا)، وقد تكون بمعنى (إي)[٢]، ورجح ابن هشام من هذه المعاني

(١) ينظر: التفسير الكبير: ٢١٩/١١ .

(٢) ينظر: : في معاني (كلا) شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، لابن هشام، تحقيق: عبد الغني الدفتر، الشركة المتحدة للتوزيع، سوريا، (د.ت): ١٢-١٣ .

الأربعة أن تكون في الآية بمعنى (ألا) التي استفتح بها الكلام[١]، وذهب بعض المفسرين إلى أن (كلا) رداً له أو يتوجه إليه الردع ظاهراً[٢] والبادي إن المعنى الأقرب للسياق أن تكون (كلا) ردعاً وزجراً وان وقعت في بداية الكلام، وهذا العدول لـ(كلاّ) حقق بلاغة على صعيد تماسك نص السورة الكريمة ووحدتها، أعني العدول عن موقعها المألوف وهو وقوعها بعد كلام لإبطاله والزجر عن مضمونه، بلاغة تمثلت في أن تكون ((تمهيداً وتوطئة لقوله تعالى (أرأيت الذي ينهى عبداً إذا صلى)[٣] روى مسلم بن أبي حازم عن أبي هريرة قال: "قال أبو جهل: هل يعفرُ محمدٌ وجهه (أي يسجد في الصلاة) بين أظهركم؟ فقيل: نعم، فقال: واللاتِ والعزى لئن رأيته يفعل ذلك لأطأن على رقبته فأتى رسول الله(صلى الله عليه وسلم) وهو يصلي زعم ليطأ على رقبته فما فجأهم منه إلا وهو ينكص على عقبيه ويتقي بيده. فقيل له: ما لك يا أبا الحكم؟ فقال: إن بيني وبينه خندقاً من نار وهولاً وأجنحة فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): لودنا مني لاختطفته الملائكة عضواً عضوا قال: فأنزل الله: ((**أرأيت الذي ينهى عبداً إذا صلى ..**))[٤].لردع هذا الإنسان الطاغي المتجاوز للحد في العداء للرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) ابتداءً أولاً، ولتأكيد حقيقة بأداتي التوكيد (إنّ + اللام) كامنة في جنس الإنسان ثانياً، لان التعريف في (الإنسان) هو ((للجنس))[٥] أي إن الإنسان بطبعه الطغيان إذا رأى من نفسه الاستغناء، ويبدو

لي أن التوكيد بأداتي التوكيد لحقيقة طغيان جنس الإنسان ليس لإزالة الشك من عقل المخاطب ونفسه لتقبلها فحسب، وإنما هو توكيد لأهمية هذه الحقيقة لذاتها، فظاهرة التوكيد هنا تنبثق عن طبيعة مضمون الأسلوب الخبري للآية، وحاجة هذا المضمون (في ذاته) إلى تقوية وتعزيز عن

(١) ينظر: م . ن: ١٢ .
(٢) ينظر: محاسن التأويل: ٥١١/٩ .
(٣) التحرير والتنوير: ٤٤٣/٣٠ .
(٤) صحيح مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الجبل- بيروت مصورة عن التركية المطبوعة ١٣٣٤هـ: ١٣٠/٨.
(٥) الكشاف: ٢٤٠/٤.

إثباته[١] فحقيقة طغيان الإنسان المستغني تكاد تكون حقيقة يقينية لا مراء فيها. وعليه فإن "ارتباط ظاهرة التوكيد بالمخاطب هو ارتباط آني غير مطرد، إذ هو رهن بمواقف أو مقامات خاصة .. تلك التي يكون إقناع المخاطب فيها أو إفحامه هدفاً أساسياً في الكلام .. أما فيما عدا هذه المقامات فإن هناك دواعي وأسباباً أخرى للتوكيد لا ينبغي إغفالها في سبيل التركيز على زاوية المخاطب فحسب"[٢].

وقيل ((إن المراد من الإنسان المذكور في هذه الآية (كلاّ إن الإنسان ليطغى) جملة الإنسان، والقول الأول وإن كان أظهر بحسب الروايات، إلا إن هذا القول اقرب بحسب الظاهر، لان السياق بّين أن الله سبحانه مع انه خلقه من علقه، وأنعم عليه بالنعم التي قدمنا ذكرها، إذ أغناه، وزاد في النعمة عليه فإنه يطغى ويتجاوز الحد في المعاصي وإتباع هوى النفس، وذلك وعيد وزجر عن هذه الطريقة، ثم إنه تعالى أكد هذا الزجر بقوله: (إن إلى ربك الرجعى) أي إلى حيث لا مالك سواه، فتقع المحاسبة على ما كان منه من العمل والمؤاخذة بحسب ذلك))[٣]..

وتثير بلاغة الآية الكريمة ((أن رآه استغنى)) سؤالاً في الذهن: من (الرائي) في الآية ومن (المرئي)؟ انه هو نفسه الرائي والمرئي، هو الفاعل والمفعول، أي: رأى نفسه استغنى، وهي مفارقة حقاً تجليها بلاغة الآية إذ يرى الطاغي نفسه على غير حقيقتها، يراها وقد تضخمت فتتعالى على الآخرين فهو يراهم بعينه صغاراً إليه محتاجين، ولا نخالف الحقيقة إذا قلت وفي ضوء بلاغة الآية إن هذا الطاغي المستغني هو إنسان مريض لأنه يرى ويحس إحساسا بشخصية أخرى لا وجود لها إلا في خياله المريض، وتجدر الإشارة إلى أن الاستغناء في الآية مطلق غير مقيد فلا ينحصر معناه بالمال والولد فحسب، فقد يستغني الإنسان الطاغي بعلمه أو بجاهه أو بنسبه أو بأي شيء يعتز به ويعتمد عليه من دون الله فينسى بذلك حقيقة افتقاره إلى وعجزه وضعفه الله (عز وجل) ورجوعه إليه، والسياق في السورة يوحي بصورة من صور الاستغناء هي التكبر على الله سبحانه وتكذيب رسوله (ﷺ) استكباراً في الأرض ومكر السيئ

(١) ينظر: خصائص التراكيب, ، دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني، د. محمد ابو موسى، دار التضامن للطباعة، ط٢، القاهرة، ١٤٠٠ه– ١٩٨٠م: ٦ ، علم المعاني في الموروث البلاغي تأصيل وتقييم، د. حسن طبل، مكتبة الايمان بالمنصورة، ط٢، ١٤٢٥ه–٢٠٠٤م: ٦٠ .

(٢) علم المعاني في الموروث البلاغي: ٦١ .

(٣) التفسير الكبير ٢١٩/١١.

واستهزاءاً بالدين وشعائره، فيخرج عن حقيقته السوية في الخلق من الاعتدال، وينسى حقيقة من خلقه فينكرها، وحقيقة الرجوع إلى خالقه وافتقاره إليه.

وتكون جملة ((إن إلى ربك الرجعى)) معترضة لها بلاغتها في سياقها فهي كالمطرقة على رأس هذا الطاغي المستغني لتذكيره بالحقيقة التي نساها في غمرة الطغيان والاستغناء من جهة وتهديد ووعيد من عاقبة الطغيان التي تنتظره لعله يتعظ أو يسمع من جهة أخرى. والرجعى الرجوع والمرجع في الآخرة[1]. فـ " أول السورة يدل على مدح العلم وآخرها على مذمة المال، وكفى بذلك مرغباً في الدين والعلم ومنفراً عن الدنيا والمال"[2]

فالرجوع إليه تعالى ينطوي على مراحل متعددة[*]، فيكون كناية عن الموت وما وراءه من أهوال ومواقف، فالطاغي ينسى مواجهة الحقيقة التي يغفل عنها وهي (الموت)، وكم في الموت من مواعظ وعبر، فهو عما قريب تارك وراءه كل شيء رغم انفه..

وقدم السياق القرآني (إلى ربك) على (الرجعى) وهو تقديم له دلالته ومعناه، إذ أفاد التقديم القصر، قال أبو السعود: "وتقديم الظرف لقصره عليه. أي أن إلى مالك أمرك رجوع الكل بالموت والبعث، لا إلى غيره"[3]، ومما عمق دلالة التهديد والوعيد وقواها في الآية الالتفات من الغيبة إلى الخطاب (إلى ربك) فضلاً عن التأكيد بـ(إنّ).

---

(١) ينظر: البحر المحيط: ٤٩٣/٧، و ينظر: محاسن التأويل: ٥١٢/٩ .

(٢) التفسير الكبير: ٢٢١/١١.

(*) القرآن الكريم– ذو البيان المعجز– يشهد بجميع معجزاته وحججه وحقائقه – التي تُثبت أحقيته– على حدوث الحشر والرجوع اليه ويثبته، حيث إن ثلث القرآن بأكمله، وأوائل أغلب السور القصار، آيات جلية على الحشر. أي إن القرآن الكريم ينبئ عن الحقيقية نفسها بآلاف من آياته الكريمة صراحة أو إشارة ويثبتها بوضوح ويظهرها بجلاء. فمثلاً ﴿ إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴾ التكوير: ١ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴾ الحج: ١ ﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴾ الزلزلة: ١ ﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ ﴾ الانفطار: ١ ﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ﴾ الانشقاق: ١ ﴿ عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ﴾ النبأ: ١ ﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ ﴾ الغاشية: ١ فيثبت القرآن الكريم بهذه الايات وامثالها في مفتتح مايقارب اربعين سورة ان الحشر والرجوع اليه سبحانه لاريب فيه، وانه حدثٌ في غاية الاهمية في الكون، وأن حدوثه ضروري جداً ولابُدّ منه، ويبيّن بالايات الاخرى دلائل مختلفة مقنعة على تلك الحقيقة. ينظر: الشُّعاعات، بديع الزمان، سعيد النورسي:٢١٧.

(٣) ينظر: تفسير أبي السعود: ٥١٢/٩ .

ويجلي لنا سياق السورة أنموذجاً حياً لهذا الإنسان الطاغي المستغني المستكبر هو (أبو جهل). فجمهرة المفسرين على أن هذه الآيات، إلى آخر السورة نزلت في ((أبو جهل عمرو بن هشام)) كان ينهى محمداً (صلى الله عليه وسلم) عن عبادة الله(عز وجل)[١]. والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب كما يقول الأصوليون[٢]، أي أن تُحمل الآيات على عموم اللفظ في الظاهر على كل إنسان يطغى ويتجاوز عن الحد في المعاصي وينسى أن إلى ربه الرجعى، فينهى عن عبادة الله، وكان أولى به، وقد أنعم عليه خالقه، أن يكون على الهدى ويأمر بالتقوى[٣]. فنعم الله التي لاتعدّ ولاتحصى ولاسيما النعم العظيمة التي ذكرت في المقطع الأول من السورة المباركة تستوجب عبادة الشكر من هذا الإنسان لا الطغيان والكفر والجحود والاستغناء، ولايخفى على من يستقرى القرآن العظيم بآياته البيّنات أنه يجد " أن أجلّ عملٍ يطلبهُ الخالق الرحيم من عباده هو: الشكر. فيدعو الناس إلى الشكر دعوة صريحة واضحة ويوليه أهمية خاصة بإظهاره أن الاستغناء عن الشكر تكذيبٌ للنعم الإلهية وكفران بها، إن عدم الشكر والإعراض عنه تكذيبٌ وإنكار وجحود"[٤].

بل القرآن الحكيم بيّن أن عبادة الشكر هي نتيجة الخَلق والغاية منه، فالكون الذي هو بمثابة قرآن كبير مجسَّم يُظهر أيضاً أن أهم نتيجة لخَلق الكائنات هي الشكر[٥]. ففي ضوء ذلك كم ينتكس الى الحضيض ذلك الإنسان الطاغي المستغني عن الشكر، أو كم يتردئ الإنسان إلى أسفل سافلين ويكون مرتكباً ظلماً عظيماً بانعدام عبادة الشكر منه.

وذلك أن الآية الكريمة (إن إلى ربك الرجعى) تعني أن للإنسان قيمة كبرى وأهمية عظمى بدليل أن السموات والعارض مسخرة لاستفادته وان الله لم يخلق الإنسان للخَلق، بل خَلَق

(١) ينظر: جامع البيان في تأويل القران، محمد بن جرير بن يزيد أبو جعفر الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠ه- ٢٠٠٠م : ٣٢٣/٣٠ ، والبحر المحيط: ٤٩٣/٨، وينظر: التفسير البياني للقرآن الكريم: ٢٧/٢.

(٢) ينظر: البحر المحيط: ٤٩٣/٨

(٣) التفسير الكبير: ١١/ ٢٢١ ، وينظر: تفسير بنت الشاطئ: ٢٧/٢ .

(٤) المكتوبات، بديع الزمان، سعيد النورسي: ٤٥٩ ، وينظر: اللمعات، بديع الزمان، سعيد النورسي، ترجمة، أحسان قاسم الصالحي، دار سوزلر، ط٦، القاهرة، ٢٠١١م:١٩٣.

(٥) ينظر: م . ن: ٤٥٩-٤٦٠.

الخَلقَ له، وأن الله تعالى لم يوجد العالم لذاته، بل أوجده للبشر وأوجد البشر لعبادته، فأنتج أن الإنسان مخلوقٌ مكرَّم عند الله من سائر المخلوقات، وأن له رجوعاً إلى الله سبحانه يحاسبه فيه فيستلم نتيجته وثمرة أعماله في الدنيا(١).

المقطع الثالث

﴿ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ﴿٩﴾ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ﴿١٠﴾ أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ﴿١١﴾ أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰ ﴿١٢﴾ أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١٣﴾ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾ ﴾

في هذه الآيات تقابل بين فعل أبي جهل من محاربته للرسول (ﷺ) ونهيه إياه عن الصلاة، وبين فعله (ﷺ) من أمره لأبي جهل بالتقوى. ويرى البحث أن اختيار عبادة الصلاة في هذا المقطع من دون العبادات الأخرى له دلالته البلاغية في التقابل بينه وبين المقطع السابق الذي بيَّن أن الاستغناء عن الشكر طغيان وتكذيب وجحود، ذكر الصلاة هنا لأنها تمثل أجمع أنواع الشكر واشملها، قال النورسي (رحمه الله): " إن الشكر أنواعاً مختلفة، إلا أن أجمع تلك الأنواع وأشمها والتي هي فهرسها العام هو: الصلاة"(٢)، فالمناسبة ظاهرة لطيفة في تعميق دلالة المتقابل بين المقطعين في السورة وصلة ترابط قوية بينهما.

((أرأيت الذي ينهى. عبداً إذا صلّى. أرأيت إن كان على الهدى. أو أمر بالتقوى. أرأيت إن كذب وتولى. ألم يعلم بأن الله يرى)).

في هذا المقطع من المظاهر البلاغية المتنوعة :

- الاستفهام بالهمزة لفعل الرؤية المثبت المتكرر ثلاث مرات.
- استعمال الفعل المضارع (ينهى) بدلاً من الماضي (نهى).
- استعمال النكرة (عبداً) المتعلق بها فعل النهي عن الصلاة.
- الاستفهام بالهمزة في نهاية المقطع الداخل على فعل العلم المضارع المنفي.

---

(١) ينظر: إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز، تحقق: أحسان قاسم الصالحي، دار سوزلر، ط٦، القاهرة، ٢٠١١م: ٢١٩-٢٢٠.

(٢) قطوف من موازين النور ضمن كتاب الفهارس لكليات رسائل النور، دار سوزلر للنشر، ط٦، القاهرة، ٢٠١١م:٣٣٤. وينظر: المكتوبات:٤٦٢.

قال المطعني : ((ليس المراد من ارايت اخبرني) وإنما المراد هو استحضار الأمر المستفهم عنه وتصوره في الذهن ليحكم عليه، وهو حاضر ماثل في النفوس. وعبر عن هذا التصور الذهني بالرؤية (البصرية) في قوة الظهور والمثول، اعني أن الاستحضار الذهني المطلوب ينبغي أن يكون كاملاً حتى لكأن صاحبه يراه ماثلاً أمامه كما يكون الشخص ماثلاً أمامه ينظر إليه بكل وضوح))[١].

ومن الواضح أولا أن الصورة في المقطع تنصرف لكل واحد من أمثال أبي جهل، وتجلى ذلك بفاعلية بلاغة الفعل المضارع (ينهى) بدلاً من (نهى)، لأن النهي قد مضى، ولكن استحضار هذه الصورة العجيبة بالفعل المضارع لان نهي الرسول (ﷺ) عن الصلاة أفظع وأوقع، فضلاً عن

إن الخطاب بـ(أرأيت) هو خطاب عام لغير معين، وإن كان الابتداء به خطاباً للرسول (ﷺ)، كذلك العدول عن التعبير بضمير الخطاب (ينهاك)، لأن التعجب من نفس النهي عن الخطاب بقطع النظر عن خصوصية المصلي[٢]. فضلاً عن تفخيم شأنه(ﷺ) وتعظيم قدره[٣].

قال أبو السعود "هذه الآية تقبيح وتشنيع لحال الطاغي وتعجيب منها إن هذا الصنف الطاغي، الذي يعادي عقيدة المؤمنين بالله تعالى والذي يمنعهم من صلاتهم وينزل بهم الأذى والعذاب صنف يستحق العقاب" [٤]، ولما أخبر الله تعالى بطغيان الإنسان عجّل بذكر الدواء، ولا دواء للطغيان إلا أن يتذكر الإنسان أنه مفتقر لله تعالى وأنه لا يزال مفتقراً له في حياته ومماته وغناه وفقره ، ومن رحمته تعالى أن ذكر الإنسان الذي أحسن له في التربية بالرجوع الأعظم الثابت الذي لا يحيد عنه فقال: (إِنَّ إِلَى رَبِّكَ الرُّجْعَى).

وقال الرازي:" قوله: (أرأيت) خطاب مع الرسول (ﷺ) على سبيل التعجب، ووجه التعجب فيه أمور احدها: أنه عليه الصلاة والسلام قال: اللهم أعز الإسلام إما بأبي جهل بن

---

(١)التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الحكيم، د. عبد العظيم، ابراهيم المطعني، مكتبة وهبة، ط٢، القاهرة، ١٤٢٨ه-٢٠٠٧م: ٣٠٨/١.

(٢) ينظر: التحرير والتنوير: ٣٣٤/٣٠.

(٣) ينظر: الإبداع البياني في القرآن العظيم، محمد علي الصابوني، شركة أبناء شريف الأنصاري للطباعة النشر، المكتبة العصرية، بيروت– لبنان، ١٤٢٨ه– ٢٠٠٧م: ٤١٨.

(٤) تفسير أبي السعود: ٢٧٤/٥.

هشام أو بعمر، فكأنه تعالى قال له: كنت تظن انه يعز به الإسلام، أمثله يعز به الإسلام، وهو ينهى عبداً إذا صلى. وثانيها: انه يلقب بأبي الحكم، فكأنه تعالى يقول: كيف يليق به هذا اللقب وهو ينهى العبد عن خدمة ربه، أيوصف بالحكمة من يمنع عن طاعة الرحمن ويسجد للأوثان! وثالثها: إن الأحمق يأمر وينهى، ويعتقد انه يجب على الغير طاعته، مع انه ليس بخالق ولا رب، ثم انه ينهى عن طاعة الرب والخالق، ألا يكون هذا غاية الحماقة))[1].

ومن المعاني البلاغية للتعبير القرآني (أرأيت) أي الاستفهام الداخل على فعل الرؤية انه لا يستعمل إلا في الاستخبار عن الحالات العجيبة[2]، والمراد منه استحداث الأثر النفسي في المخاطب من المتعجب منه، والمتعجب منه في سورة العلق هو الذي ينهى عبداً عن الصلاة، ففعل الناهي عن الصلاة صورة غريبة فيلفت التعبير القرآني إلى هذا لأحداث الأثر النفسي المناسب في المخاطب.

وقوله تعالى (((ينهى عبداً) ولم يقل: ينهاك، وفيه نكت بلاغية، أحدها: إن التنكير في (عبداً) يدل على كونه كاملاً في العبودية، كأنه يقول: إنه عبد لا يفي العالم بشرح بيانه وصفة إخلاصه في عبوديته... ، وكأنه تعالى قال: ينهى اشد الخلق عبودية عن العبودية وذلك عين الجهل والحمق. وثانيها: أهذا ابلغ في الذم لان المعنى أنّ هذا دأبه وعادته ينهى كل من يرى. وثالثها: أن هذا تخويف لكل من نهى عن الصلاة ..ورابعها: أيظن أبو جهل انه لو لم يسجد محمد لي لا أجد ساجداً غيره، أن محمداً عبد واحد ولي من الملائكة المقربين ما لا يحصيهم إلا انا وهم دائماً في الصلاة والتسبيح، وخامسها: انه تفخيم لشأن النبي(ﷺ)، يقول انه مع التنكير معرف، نظيره الكناية في سورة القدر (إنا أنزلناه في ليلة القدر) حملت على القرآن ولم يسبق له ذكر، (أسرى بعبده)، الإسراء: الآية (١)، و(انزل على عبده)، الكهف: الآية (١)، و(وانه لمّا قام عبد الله)، الجن: الآية (١٩)))[3].

(١) التفسير الكبير: ٣٠: ٢٢٤.

(٢) ينظر: التفسير البلاغي للاستفهام: ٣٠٥/١ .

(٣) التفسير الكبير: ٣٠: ٢٢٥.

ومن البلاغيين المعاصرين[١] من ذهب إلى أن استحضار هذه الصورة العجيبة هي تمهيد للحكم عليه بخلاف من جعل (أرأيت) على معنى أخبرني[*] بقوله: "وجعل الاستفهام بـ(أرأيت) على معنى: اخبرني أمر صعب قبوله، وصعب هضمه، والذوق ينبو منه، والمقام يأباه، أما حمله على التذكر والاستحضار والتعجب منه تمهيداً للحكم عليه فهو الذي ينادي به المقام"[٢]، فالذي ينهى عبداً عن الصلاة شخص غريب الأطوار، وفعله يستحق أن تلتفت نحوه الأنظار وتتعجب منه لغرابته وبشاعته"[٣].

وظاهر المقطع يوحي بإرجاع الضمائر فيه إلى الرسول المصطفى (ﷺ) في (أرأيت إن كان على الهدى. أو آمر بالتقوى) مرة ومرة أخرى إلى الناهي عن الصلاة في (أرأيت الذي ينهى عبداً إذا صلى.. أرأيت إن كذب وتولى.. ألم يعلم بأن الله يرى)، والعبد المنهي عن الصلاة هو الرسول (ﷺ)، والناهي هو أبو جهل كما ورد. فنلاحظ اختلاف المستفهم عنه في هذا المقطع بتكرار (أرأيت) فيه، أرأيت الأولى جاء بعدها (ينهى عبداً إذا صلى) و(أرأيت) الثانية جاء بعدها (إنْ كذب وتولى). وهذا الاختلاف في المستفهم عنه سبب اختلافاً عند المفسرين في فهمها وفي إرجاع الضمائر، فمنهم من جعل الضمائر كلها لـ(الذي ينهى). والمعنى أي أرأيت أن كان ذلك الناهي على طريقة سديدة فيما ينهى عنه من عبادة الله، أو كان آمراً بالمعروف والتقوى فيما يأمر به من عبادة الأوثان، كما يعتقد؟ وجواب الشرط محذوف دلّ عليه ما بعده. أي ألم يعلم بأن الله يرى. وعليه فالضمائر في المقطع كلها ترجع إلى الناهي أبي جهل [٤].

ومنهم من جوز عود الضمير في (إن كان على الهدى) و (أو أمر بالتقوى) للعبد المصلي. أي أرأيت الذي ينهى عبداً يصلي؟ والمنهي على الهدى آمر بالتقوى. والناهي مكذب متولٍّ، فما أعجب من هذا [٥]!

---

(١) إبراهيم المطعني في كتابه التفسير البلاغي... ينظر التفسير البلاغي للاستفهام: ٣٧٥/٤ .

(*) كالزمخشري في تفسيره الكشاف: ٢١٧/٤. وأبو حيان في تفسيره البحر المحيط : ٤٩٠/٨ وغيرها.

(٢) ينظر التفسير البلاغي للاستفهام ٣٧٥/٤ .

(٣) م . ن: ٣٧٥/٤ .

(٤) ينظر: محاسن التأويل: ٥١٣/٩ .

(٥) ينظر: م.ن: ٥١٣/٩.

وثمة التفات لطيف ببلاغته حاصل من الخطاب في (أرأيت) للرسول صلى الله عليه وسلم إلى الغيبة في (عبداً) وهو الرسول صلى الله عليه وسلم فأفاد الالتفات العموم في الوعيد أي يتناول كل من ينهى عبداً عن الصلاة وطاعة الله عز وجل.فضلا عن أن تنكير (عبدا) أفاد تعظيم الرسول(ﷺ) وتفخيمه واستعظام النهي وتأكيد التعجب منه[1]. وفي (عبداً) التفات من الخطاب في (أرأيت) إلى الغيبة في (عبداً) لان المخاطب هو محمد (ﷺ)، والمنهي عن الصلاة (عبداً) هو محمد (ﷺ)، وكان الأصل أن يقال:

((أرأيت الذي ينهاك إذا صليت، ولو قيل هذا لكان الوعيد مقصوراً على أبي جهل وحده، لاختصاص إيقاع النهي منه على الرسول، ولكن لما قيل (عبداً) صار الوعيد عاماً في كل من ينهى عبداً عن طاعة الله – عز وجل –))[2].

وثمة تعجيب آخر من حال الناهي للعبد عن الصلاة، هذا العبد كما تصوره الاستعارة المكنية (على الهدى)، فهو عبد متمكن من الهدى، فكأن الهدى مطّية يمتطيها متمكن منها كما صور الحرف (على)، آمراً بالتقوى بعد أن ذاق الهدى وعرف فيأمر غيره بالهدى، ولكن الناهي ينهاه عن ذلك فعجب نهيه عن ذلك، ومن اجل ذلك يعجب النظم القرآني المخاطب من هذا الناهي باستحضار صورته في ذهن المخاطب ليحكم هو على هذه الشخصية العجيبة التي تقوم بفعل النهي عن الصلاة ممن هو على الهدى الآمر بالتقوى.. ثم يعجب السياق القرآني من هذا الناهي بآية أخرى تبين سبب فعله العجيب هذا وهو (الكذب والتولي) عمن يأمره بالهدى والتقوى.

وقوله ((أرأيت إن كذب وتولّى)) حالة عجيبة أخرى لهذا الناهي، فهو ينهى عن الصلاة.. بسبب التكذيب والتولي والإعراض.

وقوله ((ألم يعلم بأن الله يرى)) بأن الله (سبحانه وتعالى) يرى كل أفعاله من نهي وتكذيب وتولٍّ، ويرى أفعال كل المخلوقات لا يغيب عنه شيء يجازيهم على أفعالهم إن شرا بشرٍ وإن خيراً فخير، فلْيُوقِن كل احد ذلك كما دل الفعل ((يعلم)) الذي ضمن معنى (يوقن) ولذلك

(١) ينظر: م . ن: ٥١٢/٩.

(٣) التفسير البلاغي للاستفهام: ٣٧٥/٤-٣٧٦.

عُدّي بالباء[١]. بان الله عالم بما سيكون قبل أن يقع وليس هو عالم بما كان وما يكون فحسب كما دلت الآية الكريمة في قوله ((إن كذّب وتولّى)) فالتعبير القرآني هنا ((إيذان للنبي (ﷺ) بأن أبا جهل سيكذبه حين يدعوه إلى الإسلام وسيتولى، ووعد بأن الله ينصف له منه))[٢].

وقيل: في قوله تعالى ((ألم يعلم بان الله يرى)) " مسألتان:

المسألة الأولى: المقصود من الآية التهديد بالحشر والنشر، والمعنى انه تعالى عالم بجميع المعلومات، حليم لا يهمل، عالم لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء، فلابد وان يوصل جزاء كل احد إليه بتمامه فيكون هذا تخويفاً شديداً للعصاة، وترغيباً عظيماً لأهل الطاعة. المسألة الثانية: هذه الآية وإن نزلت في حق أبي جهل فكان من نهى عن طاعة الله فهو شريك أبي جهل في هذا الوعيد..."[٣].

والبادي أن المعنى المستفاد من المقطع ببلاغته انسب مع بلاغة النظم القرآني إذا أرجعنا الضمائر إلى الناهي، وعلى هذا يكون معنى الخطاب للرسول (ﷺ) على النحو الذي ذهب إليه المطعني بقوله: "أتذكر الذي ينهى عبداً إذا صلى، ويتجرأ هذا التجرؤ؟ إن هذه الحالة التي هو عليها، فتصور في ذهنك إن كان هذا الناهي على حالة من الهدى، أو حالة من الأمر بالتقوى والنهي عن المنكر، أو كان على حالة من التكذيب والتولي مهما اختلفت أحواله وتبدلت ألم يعلم أن الله يراه ويحصي ما يفعل ويحاسبه عليه. ويعني إن الله يعلم ويرى جميع أحواله وتصرفاته شراً كانت أو خيراً ولن يفلت من محاسبة الله إياه))[٤].

فتتضافر في هذه الآية من المظاهر البلاغية المتنوعة كالاستفهام بالهمزة، واستعمال المضارع (ينهى) بدلاً من الماضي، فضلاً عن استعمال مفردات مثيرة بلاغياً في الآية كفعل الرؤية المستفهم عنه ولفظة (عبداً) المتعلقة بها فعل النهي عن الصلاة، مما أفرز معنى عجيباً يقترن بفعل الإنسان الطاغي، وهذا التركيب للآية بصورته العجيبة لا يقترن بأبي جهل الذي اتفق المفسرون على انه هو المقصود فحسب، بل تتصرف الصورة لكل واحد من أمثال أبي

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير: ٤٤٩/٣٠ .

(٢) م. ن: ٤٤٩/٣٠ .

(٣) التفسير الكبير: ٢٢٧/٣٠.

(٤) التفسير البلاغي للاستفهام: ٣٧٥/٤-٣٧٦ .

جهل إلى يوم القيامة، ودليل ذلك بلاغياً توظيف الفعل (ينهى) بدلاً من (نهى) لأن النهي قد مضى، ولكن استحضار هذه الصورة العجيبة بالفعل المضارع لأن نهي الرسول (ﷺ) عن الصلاة أفظع وأوقع، فضلاً عن الخطاب بـ(أرأيت) هو خطاب عام لغير معين، وإن كان الابتداء به خطاباً للرسول (ﷺ)، وكذلك العدول عن التعبير بضمير الخطاب لأن التعجب من نفس النهي عن الصلاة بقطع النظر عن خصوصية المصلي قال بعض المفسرين: ((و ((أرأيت)) كلمة تعجيب من حال، تقال للذي يعلم انه رأى حالاً عجيبة، والاستفهام مستعمل في التعجيب لأن الحالة العجيبة من شأنها أن يستفهم عن وقوعها استفهام تحقيق وتثبيت لأنها إذ لا يكاد يصدق به .. والرؤية علمية والمعنى: أعجب ما حصل لك من العلم قال الذي ينهى عبداً إذا صلىّ. ويجوز أن تكون الرؤية بصرية لأنها حكاية أمر وقع في الخارج. والخطاب في ((أرأيت)) لغير معين))[1].

المقطع الرابع

﴿ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴿١٦﴾ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ﴿١٧﴾ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ﴿١٩﴾ ﴾

قوله تعالى (لنسفعنا بالناصية) جاء متوافقا لما أراد أبو جهل فعله بمحمد (ﷺ) في أثناء صلاته، ((حيث أراد أن يطأ عنقه فجاء قوله (كلا لئن لم ينته لنسفعا بالناصية) أي لنأخذن بمقدم رأسه إلى النار، فوافق هذا العقاب تلك النية"[2] وهذا ما يسمى في البديع بفن الاتفاق[*].

((كلاّ)) ردع له وزجر، وهو ردع وزجر مقترن بوعيد له شديد بتعبير قرآني فريد، وقد حشدت فيه توكيدات وإسناد مجازي بديع لتصوير كذبه وخطئه على نحو معجز:

((لئن لم ينته لنسفعاً بالناصية. ناصيةٍ كاذبةٍ خاطئة))

فاللام الموطئة للقسم في (لئن) وجملة جواب القسم (لنسفَعاً) المؤكد بنون التوكيد الخفيفة والباء المزيدة الداخلة على (بالناصية)، والتعريف في (الناصية) وتنكيرها ثانية (ناصية)،

---

(١) التحرير والتنوير: ٤٤٦/٣٠-٤٤٧ .

(٢) جامع البيان في تأويل القران: ٥٢٥/٢٤.

(*) الاتفاق: هو أن تتفق للمتكلم واقعة تعلمه العمل في نفسها. ينظر: التحرير والتحبير: ٥,٣ وهو بمعنى ما يسمى بالجزاء من جنس العمل.

والمجاز العقلي بالكاذبة والخاطئة الذي وصف به الناصية، كل ذلك عمل على توصيل المعنى البلاغي الخاص المقصود.

والسّفع: القبض على الشيء، وجذبه بشدة، والناصية مقدم شعر الرأس والسفع من الناصية كناية عن أخذه إلى العذاب، وهو علامةُ الإذلال والإهانة، لأن العرب لا يقبضون على شعر رأس احد إلا لضربه أو جرِه، وأُكدّ هذا المعنى بحرف الجر الباء لتأكيد اللصوق[١].

ولا يخفى ما في هذه الصورة من معنى الإذلال والإهانة، لأن الناصية كناية عن الوجه والرأس، وأشرف ما في الإنسان رأسه ووجهه، فكيف إذا كان هذا الرأس لأبي جهل المتكبر المختال في قومه والمتكبر على المسلمين، ها هو رأسه الذي يعتز به ويهتم يُذلُ ويُهان، ولذلك فإن التعبير القرآني يعرف ناصيته بقوله: ((لنسفعن بالناصية)، فهي ((الناصية المعروفة عند قومه ذاتها))[٢]، ولكنه بعد ذلك ينكرّها بعد أن وصفها بالكذب والخطأ: ((ناصية كاذبة خاطئة))، قال المفسرون: ((جاز إبدالها من المعرفة وهي نكرة، لأنها وصفت فاستقلت بفائدة))[٣]، وأرى أن تنكيرها إشارة إلى إهمالها وتصغير شأنها، فهي ناصية لا قيمة لها ولا كرامة ولا وزن في ميزان الإسلام، وذلك لأنها ناصية كاذبة خاطئة، ووصفت ناصية أبي جهل بالكاذبة الخاطئة على سبيل المجاز العقلي، وإلاّ فإن الكذب والخطأ باديان من ناصيته فكانت الناصية جديرة بالسفع))[٤].

ولما كان أبو جهل معتزاً بماله وجاهه وقوته في قومه، فالسياق يحثه ويأمره على حشد قوته التي يستنصر بها من دون الله:

((فليدع ناديه. سندع الزبانية. كلا))

ولام الأمر في (فليدع ناديه) خرجت للتعجيز[٥] لأن أبا جهل هدد النبي (صلى الله عليه وسلم) بكثرة أنصاره وهم أهل ناديه فرد الله عليه بأن أمره بدعوة ناديه فإنه إن دعاهم ليسطوا على النبي (ﷺ) دعا الله ملائكة فأهلكوه. وهذه الآية معجزة خاصة من معجزات القرآن فإنه

(١) ينظر: التفسير الكبير للرازي: ٢٢٤/٣٠ ، والتحرير والتنوير: ٤٥٠/٣٠ .
(٢) التفسير الكبير: ٢٢٥/٣٠ .
(٣) م . ن: ٢٢٥/٣٠ .
(٤) التحرير والتنوير: ٤٥٠/٣٠ .
(٥) ينظر: م . ن: ٤٥٢/٣٠ .

تحدى أبا جهل بهذا وقد سمع أبو جهل القرآن وسمعه أنصاره فلم يقدم احد منهم على السطو على الرسول (ﷺ) مع إن الكلام يلهب حميته[١].

وعدّ بعض البلاغيين إطلاق النادي على أهله من المجاز المرسل بعلاقة المحلية أي إطلاق المحل والمراد من يحلُّ فيه[٢] والأرجح فإن هذا التعبير القرآني هو حقيقة وليس مجازاً، لأن النادي لا يطلق اسماً للمكان إلاّ إذا كان القوم مجتمعين فيه فإذا تفرقوا عنه فليس بنادٍ[٣]. وفي الآية إعجاز علمي في (ناصية كاذبة خاطئة) فقد قرر العلم أن التحكم في الحركات والأفعال الإرادية تكمن في الفص الجبهي وأن البرامج الحركية تزود بها القشرة الحركية من الفص الجبهي من خلال القشرة قبل الحركية. ومن المعروف أن قشرة الدماغ هي المكان الذي يقوم بجميع الوظائف الواعية أو الإرادية الحركية وعليه فإنه يمكن القول باطمئنان: إن قشرة الفص الجبهي هي المسؤولة عن إرسال القرار الحركي الإرادي لأجزاء الجسم. بما في ذلك حركة اللسان بنطق الألفاظ، وحركة الرأس والعينين لتركيز النظر في اتجاه وغرض محدد، بناء على ما ترسخ فيها من معلومات مسبقة والتي تتمثل في فطرة الله أو فطرة الإيمان، وما اكتسبته من معلومات خارجية أخرى لتوجيه وضبط السلوك والتصرفات[٤]. إذاً فيمكن تحت هذا المجاز العقلي سرٌّ من أسرار القرآن الكريم كشف عنه العلم قريباً، فأطلق القرآن (الناصية) وأسند إليها الكذب والخطأ وصفاً لأنها المكان الذي يستقر فيه الفص الجبهي من الدماغ وهو المسؤول عن القرارات الحركية الإرادية وأفعالها الواعية والسلوك والتصرفات الصادرة من الشخص، والذي سوّغ هذا الإسناد المجازي علاقة المكانية فحقق التعبير القرآني مبالغة بلاغية معجزة.

((كلا)) في القرآن ترد على عدة معانٍ منها: أن تكون بمعنى حقاً كما في هذه الآية فـ(كلا) بمعنى حقاً، يعني أن الله تعالى يثبت هذا إثباتاً لآمرية منه.

وقوله (واسجد واقترب) هذان الأمران اللذان ختمت بهما السورة هما حسن ختام بديع عمل مع حسن الابتداء على تأكيد الرابطة المعنوية بينهما بما يحقق الوحدة العضوية لنص

---

(١) م . ن: ٤٥٢/٣٠ .

(٢) ينظر مثلاً: التفسير الكبير: ٢٢٥/٣٠ وينظر : محاسن التأويل: ٥٠٨/٩-٥٠٨

(٣) ينظر: التحرير والتنوير: ٤٥٢/٣٠ .

(٤) ينظر: الناصية ووظيفة الفص الجبهي للدماغ، دراسة إعجازية لسورة العلق، محمد يوسف سكر، الشبكة العالمية، موقع (فرسان السنة).

السورة الكريمة، فالابتداء كان أمرا بالقراءة باسم الرب الذي علم وانعم وكرم فهو المستحق وحده للسجود والتقرب إليه، بل إن السجود أسمى حالات القرب منه سبحانه، لذلك يمكن أن نقول :إن حمل أمانة التكليف أو حرية الاختيار للأقوال والأفعال تكمن في الفص الجبهي للمخ أو الناصية والله أعلم.

وحسن الخاتمة تتلائم مع حسن الابتداء في هذه السورة من حيث إن القراءة تبصر العبد بالخلق وتقرّبه من الخالق، كذلك السجود يكون من أكثر الأشكال الأخرى تعبيرا عن التقرب من الله (سبحانه تعالى). كما أن حسن الابتداء بالقراءة والعلم والانتهاء بالسجود والاقتراب يوحي بأن أداء التكاليف الشرعية في أسمى صورها (السجود) يستند إلى دلالة الابتداء، فهو السجود التحقيقي المستند إلى العلم واليقين وأن السجود في الختام يوحي ليسن بالسجود المعروف في الصلاة فحسب على سبيل المجاز المرسل بإطلاق (الجزء) وإرادة (الكل) الصلاة بعلاقة الجزئية، وإنما ينصرف إلى نوع آخر من السجود فضلاً عن سجود الصلاة هو سجود القلب في كل وقت وحين لله رب العالمين توافقاً مع الفطر التي فطر الله عليها الكون، فطرة الطاعة والاستجابة للخالق العظيم وهذا المعنى يتعاضد مع دلالة (واقترب) فليس هو الاقتراب المكاني المحسوس فذلك محال في حقه سبحانه، إنما هو اقتراب العبد من الله رتبة ومعنى، وهو المعنى المتحقق في المقطع الثالث في (العبد المصلي) وهو الرسول الذي تحققت فيه العبودية لله على أكمل وجه وأتم.

الخاتمة والنتائج:

١. لحظ البحث أن للفنون البلاغية المتنوعة من معان وبيان وبديع أثر كبير في السورة الكريمة من حيث توصيل الأفكار والمعاني بحيوية وقوة تأثير في المخاطب فهي ليست فنوناً تجريدية تراد لذاتها بل هي جزء من نص إبداعي عمل على كشف الإعجاز الأسلوبي والعلمي في السورة.

٢. كشفت السورة عن بعض الاعجازات العلمية في المقطع الأول إذ أشار إلى خلق الإنسان من (علق)، فأحلل المقطع إلى أوجه التشابه بين (علق) أول تخلّق الإنسان في الرحم و(علقة) الدودة السابحة في المياه والتي تعلق في بعض الحيوانات، إذ لاحظ البحث التشابه بينها من حيث اللون والشكل، وهذه من الدقائق التي لا يعلمها إلا الله سبحانه الخالق.

٣. استعملت السورة (كلا) في بداية الكلام كما في المقطع الثاني، وهو عدول حقق بلاغة، عدول عن موقعها المألوف وهو وقوعها بعد الكلام لإبطاله والزجر عن مضمونه إلى تمهيد وتوطئة لمقطع جديد (أرأيت الذي ينهى عبداً...) مما يعمل على تماسك نص السورة الكريمة ووحدتها.

٤. الاختلاف في المستفهم عنه في المقطع الثالث سبب اختلافاً عند المفسرين في فهمها وفي إرجاع الضمائر، فمنهم من جعل الضمائر كلها لـ(الذي ينهى)... ومنهم من ارجع الضمير في (إن كان على الهدى) و(أو أمر بالتقوى) للعبد المصلي مرة. ومرة أخرى إلى الناهي عن الصلاة في (أرأيت الذي ينهى عبداً إذا صلى... أرأيت إن كذب وتولى.... ألم يعلم بأن الله يرى) والذي اطمأن إليه البحث هو إرجاع الضمائر إلى الناهي لأنه الأنسب مع بلاغة النظم القرآني في المقطع.

Surat Al- Alaq
Rhetoric Study

Asst. Prof. Dr. Ahmad Fathi Ramadan

Abstract

The present study deals with surat Al-Alaq,one of the chapters of the Glorious Quran . The study investigates The eloquence of this sura and its style of organing .The researcher refers to The various aspects of rhetoric styles that are utilized .The utilization of these . rhetoric aspects has its effect in conveying ideas and meanings in vital way . Uncovering these aspects pave the way to reveal the stylistic in limitability in this sura .